مجلة عصور المجلد 17 العدد الأول سبتمبر 2018
ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003- 868Depot légal

دور إقليم توات في توطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية بين إيالة الجزائر والمغرب في العصر الحديث

أ ة . صورية حصام
أستاذة باحثة، جامعة أحمد بن بلة 1وهران
souraya31@hotmail.com

تاريخ الإرسال:09-05-2018

الملخص:

تتحدث الكتابات عن إقليم توات أنه تواجد في صحراء الجزائر الواسعة بعيدا عن العمران، وعدم خضوعه لأي حكم، ذلك ما جعله أرض آمان، بعيدا عن الفتن والحروب. في الظاهر تعتبر مميزات بسيطة اتسّم بها الإقليم، لكن في الباطن هي مواصفات مهمة وضرورية جعلت من الإقليم يلعب دورا كبيرا وفعالا في حياة السكان والمناطق المجاورة له. ذلك ما أدى إلى وجود أرضية خصبة جعلت توات يزدوج في فعاليته مند الزمن البعيد واستمراره إلى غاية العصر الحديث؛ هذه الازدواجية في الدور تجسدت في المبادلات التجارية، فقد كان معبرا للتجار الآتون من الأقطاب الأربعة المجاورة له، خاصة من المغرب. كما شهد توات انتعاشا علميا وفقهيا في إثراء الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب العربي في العصر الحديث. أنجب توات علماء برزوا في شتى العلوم من تعاليم القرآن والفتوى والقضاء واشتهروا بنشاطهم الفكري والعلمي؛ تسابق علماء المغرب وطلبة العلم إلى الجلوس معهم والأخذ منهم. وهكذا شكلّ الإقليم منطقة ربط بين إيالة الجزائر وصحرائها مع المغرب.

الكلمات المفتاحية:
إقليم; توات; إيالة; الجزائر; المغرب; مبادلات تجارية; علاقات ثقافية; سجلماسة.

Abstract:

The writings about the province of Touat inform us about its presence in the Algerian vast desert far from the urbanization and did not submit to any rule, which made of it a safe land far away of conflicts and the war. Seemingly this region has simple features but at the deep bottom they are important and necessary specifications which gave the region an important and effective role in population lives and neighboring areas. This has led to the existence of the fertile soil that has made Touat double its effectiveness for a long time and extend to the modern era. This dual efficacy appear as being a transit and exchange point for traders of the four neighboring poles, especially Morocco. Touat has experienced a scientific and intellectual revival by enriching the cultural and scientific life of the Maghreb in modern times. The region gave birth to savants of various sciences from the teachings of the Coran, Fatwa and also of Justice fields, and was famous for their intellectual and scientific activity. Moroccan scientists and science students competed to meet them and benefit. Thus, the region formed a link between Algeria and its

Keywords :province; Touat; Alegria; Morocco; Trade Exchanges; Cultural relations; Sijilmassa

مقدمة:

يعتبر إقليم توات أقرب المناطق الجزائرية المجاورة للمغرب الأقصى؛ بعد تلمسان ووهران، فقد تم التركيز على هذا الإقليم نظرا للدور الذي لعبه في توطيد العلاقات بين المغرب والجزائر، باعتباره جزء من التراب الجزائري؛ حتى ولو أنه لم يخضع كلية للسلطة العثمانية في الجزائر لكنه ظلّ يعترف بها. ما أدى إلى طرح إشكالية مفادها؛ كيف كان لإقليم توات دورا كبيرا في توطيد العلاقات بين إيالة الجزائر والمغرب في العصر الحديث؟، وما هي العوامل التي ساعدت على ذلك؟ وفيما تجسدت تلك العلاقات؟

قُسمت الدراسة إلى جانب اقتصادي وآخر ثقافي التي بدورها تفرعت عنها عناصر، ومن خلالها تتم الإجابة على الإشكالية المطروحة، تمّ التعريج عن أهمية الموقع الجغرافي لتوات ودوره التاريخي، كما توجب الحديث عن أصل كلمة توات.

في عنصر موالي خُصّ الحديث عن الإقليم أنه مثل معبرا للتجار ثم إعطاء لمحة عن أهم المبادلات التجارية مع المغرب و أهم الطرق التجارية.

تماشيا مع العنوان توقفنا عند الدور الثقافي للإقليم باعتباره حاضرة علمية في صحراء الجزائر أنجب علماء أجلاء أثروا في المنطقة، و راحوا يبحثون عن المزيد من العلم والفقه في المناطق المجاورة، في المغرب؛ مثل سجلماسة وفاس ومراكش. من جهته احتضن الإقليم علماء من المغرب كان لهم صدى كبيرا في توات.

1 - أصل تسمية الإقليم:

اختلف المؤرخون في أصل التسمية (توات)، وتاريخ اختطاطها، بل وحتى في رسم حدودها، فمن يرجع التسمية إلى أنه عندما؛ فتح الإقليم عقبة بن النافع بتاريخ 62هـ فسأل عن هذه البلاد وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف وقال: هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب؟ أي ينزله بها أو يجليه بها، فكان الرّد أنها تواتي ومن تم سميت تلك الأرض هكذا، وهر رأي انفرد به العالم محمد بن عومر. ورأي آخر أكثر تداولا؛ هو رأي الشيخ سيد البكري؛حيث يقول " في سنة 518هـ ، غلب المهدي الشيعي سلطان الموحدين على المغرب، فبعث من يلقي القبض على المعارضين وأمر بقبض الأتوات، فعرف أهل هذا القطر بالأتوات، لكن يبقى الجدال إذا كان الاسم من الفعل واتى يواتي، أو هو اسم للمغارم أي الأتوات، أو هو إسم من أصل بربري أو تكروري أو تارقي أو عربي .

2- موقع إقليم توات:

احتل إقليم توات بموقعه المتميز وقصوره المتناثرة مركز وسطا لعواصم تاريخية كبرى على مر التاريخ؛ مشكلا بذلك نقطة العبور الأساسية بين هذه الأقاليم، تحدث عن موقعه جيلبار غران قييوم Gilbert grand Guillaume أنه: يقع في الجهة الغربية من صحراء الجزائر، يمتد من رقان ويضم أدرار وضواحيها من الشمال نحو تيميمون إلى الجنوب نحو

تيكديلت، الإقليم معروف بطريقة السقي بالفقارة.[1] وفي ذلك يقول الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم البكري عن الحدود القديمة للإقليم أن " بينه وبين سجلماسة مسافة ثلاثة عشر يوما...وغربا عشرين يوما لأول السودان، ومن غدامس عشرين يوما، ومن الزاب عشرة أيام شرقا، ومن ناحية أولاد عيسى قدر أسبوع إسراعا لبلاد البيض سيدي الشيخ وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مائتا قصرا أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط[2].

انقسم سكان إقليم توات إلى اثني عشر قبيلة أساسية ، كل قبيلة لها حيزها من الأراضي الخاصة بها هي بودا، بوفادي، فنوغيل وأنزغمير، رقان ،سالي، سيبا، تمنطيط، تامسنا وتيمي وتسابيت وزاوية كنتة، كانت تيمي هي المنطقة الآهلة بالسكان والأقل تعميرا كانت سيبا.[3]

3 - <u>أهميه موقع اقليم توات</u> :

تتمثل الأهمية الجغرافية لإقليم توات، في أنه يتوسط هضبة تادمايت من الشرق، والعرق الغربي من الشمال وصحراء تنزروفت من الجنوب. هذا الموقع الهام جعل إقليم توات من أهم محطات تجارة القوافل، وقد ذكر في هذا الصدد العلامة ابن خلدون"... ركاب التجار المترددين من المغربي إلى مالي من السودان... "[4] . تميزت المنطقة بالاستقرار السياسي مقارنة مع الأقاليم الأخرى؛ إذ قيل عن المنطقة: أنها كانت بعيده عن مراكز السلطة الحاكمة مثل الزيانيين والوطاسيين فأصبحت مقصدا لكلّ الفارين من الظلم السياسي والتنازع عن العرش. ذكر الفشتالي في هذا الصدد انه لجأ إلى إقليم توات السلطان أبو حمو موسى بن عثمان الزياني سنه 1372، والخليفة أبو العباس احمد القائم بأمر الله المعروف بالأعرج سنة 1510." سولت لهم

1 -GILBERT grand Guillaume, Régime économique et structure du pouvoir : le système des Foggara du Touat, **<u>Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée</u>**, année 1973,numéro 13-14,p348.

2 - أحمد أبا الصافي جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7 هـ حتى نهاية 13هـ، أعلامها مواطنها، ومساراتها، مظاهرها وخصائصها الفنية، ط1، الجزائر، 2009، ص16.

3 - KARL Suter, Etude sur la population et l'habitat d'une région du Sahara Algérien, le Touat, **<u>revue de géographie Alpine</u>** ,annee1953, numéro,41-43,p3

4 - هرباش جازية، الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال محطوط الغنية في القرنين 12 و13 الهجريين و 18 و19 الميلاديين، إشراف أ.د بن نعمية عبد المجيد، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، السنة الجامعية، 2011 - 2012، جامعة وهران1، ص245

نفوسهم القدرة على الدفاع وجعلوا أكبر معولهم على تيميمون مقر الملوك الملتجئين..."[1].

إن لجوء شخصيات حاكمة لا دليل على وجود السلم والأمان في المنطقة، وإذا وجدت منطقه بتلك المميزات جعل منها منطقة متطورة في جميع الميادين؛ مثل الجانب الثقافي الذي وجدناه حافلا بعلماء من سجلماسة إلى توات، كما لعب الإقليم الدور الكبير في الجانب الاقتصادي ما جعله أهم المحطات التجارية.

ولعل موقع توات الاستراتيجي يعتبر عاملا مساعدا لتجار توات فهو الممر الطبيعي لتجارة السودان الغربي من جهة وممرا لنقل البضائع إلى بلاد المغرب، ما جعله حلقة وصل، فالقوافل التواتية كانت تضم عدة رجال لتقديم الخدمات الضرورية للمسافرين، الذين لهم معرفة جيدة بالمسالك الصحراوية ودراية بالنجوم، والطبيب له معرفة بالأعشاب المفيدة للصحة وعلاج الأمراض المستعصية، والفقيه أو العالم المتمكن في الأمور الشرعية، فيستفتي ويجيب عن تساؤلات المسافرين والتجار[2]، والحراس مكلّفون بالحفاظ على أمن القافلة وإبعادها عن أماكن الخطر[3].

4 ـ توات محطة تجارية:

كان للعامل البشري دورا كبيرا في المنطقة التجارية وذلك بفضل حيوية المجتمع التواتي ومشاركته الكبيرة في تطوير التجارة، فرغم الإمكانيات التي يتوفر عليها سكان توات إلاّ أنهم ساهموا في الإنتاج الفلاحي بأبسط ما قدمته لهم الطبيعة؛ من تربة ومناخ، فاستطاعوا تحويل المنتجات الزراعية إلى سلع قابله للبيع والمقايضة بمواد أخرى تجلب من مناطق أخرى من طرف تجار عابرين للمنطقة. كما تميز المجتمع التواتي بطبعه الذي يعتمد

1 ـ الفشتالي أبو فارس، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق، عبد الكريم كريم، د ط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، د س ط ،ص 76.

2 ـ محمد صالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة(الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي)، ج 1، دراسة محلية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 142.

3 - Le capitaine GIRARD, étude sur le le Maroc Impe éditeur, librairie militaire. Chapelot, Paris, 1904, p39.

على الذات دون الاتكال على الآخرين حيث حوّل بعض هذه المنتجات الفلاحية وغير الفلاحية إلى سلع مصنعة؛ كالحليّ والجلود والأواني الفخارية وسعف النخيل التي أصبحت جاهزة للتصدير. بالإضافة إلى ما احتواه إقليم توات من خيرات الطبيعة، انعم الله سكانه المياه الجوفية.سكان توات عرفوا كيفية إتقان واستغلال تلك المياه بطريقة الفقارة؛ تقنية ابتكروها لسقي أراضيهم بالإضافة إلى استغلالها في تزويد التجار وإبلهم قبل ان يخوضوا طريق الصحراء. وهذا ما جعل المنطقة نقطة يقف بها كل المارين إلى الصحراء أو نحو الشمال[1]

5 ـ الطرق التجارية من المغرب إلى تلمسان:

من أشهر الطرق التجارية الرابطة مباشرة بين تلمسان والمغرب هي:

الطريق الأول: كانت سجلماسة عاصمة التافيلالت نقطة انطلاق من المغرب إلى تلمسان ويذكر أنه وجد طريقان للذهاب إلى تلمسان. الأول يمر على أوتجداح إلى تازة [2] وبعدها فاس يتجه نحو الجنوب ليمر على المدن التالية صوفور وتادلا وأغمات[3] للخوض في الأطلس الكبير ثم نحو الطريق الشرقي للوصول إلى سجلماسة بعد قطع واد الدراع، واعتبر هذا الطريق في تلك الفترة الطريق الآمن والأسهل عموما، فقد كان يجتازه تجار تلمسان وتجار المغرب من الزمن البعيد.[4]

أما الطريق الثاني فكان مباشرا لكن مملوء بالصعوبات من حيث التضاريس الوعرة ، يمر أيضا على أوتجداح ويقطع منطقة تامريت التي تقع على مسافة يومين مشي من تلمسان في الجهة الجنوبية، ليصل إلى واد غير

1 ـ هرباش جازية، مرجع سابق، ص248.

2 ـ مدينة تبعد عن فاس ب 80 ميل ، بها مدارس ومساجد مبنية بجدران في غلية الإتقان. ينظر :الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا ، ج1، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، المغرب، 1983، 354.

3 ـ تبعد عن مراكش بثمانية فراسخ تقع على منحدر جبال الأطلس الكبير ، بها بساتين وكروم، سكانها يتكلمون البربرية. ينظرك مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2،تر، محمد حجي، محمد زنبير، محمد الأخضر، أحمد توفيق، أحمد بن جلون، دار النشر والمعرفة، الرباط، 1989 ص61.

4 -L'ABBéJ .J.L, TLEMCEN ,souvenir d'un voyage, imprimerie ,benjamin du prat et challamel ainé, paris,1858,p213.

ثم سجلماسة، وكان التجار يمضون ما يقارب 15 يوما للوصول بقوافلهم إلى تلمسان [1].

6 ـ المبادلات التجارية بين إقليم توات وأسواق المغرب:

كان إقليم توات يمثل المجال الحيوي الذي فتح أفاق بين الشمال والشرق والغرب وحتى مع الجنوب نحو السودان، قال ابن خلدون في كتابه العبر "..وتسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين آخذة من الغرب إلى الشرق وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان.[2]

أصبحت مدينة تمنطيت أو تمنطيط في بداية القرن 16 مركزا اقتصاديا هاما في إقليم توات الذي يعدّ من الأقاليم الصحراوية الغنية بالمياه الجوفية، ذلك ما أدى إلى ابتكار طريقة السقي بالنظام الفقارة، اعتمد اقتصاد توات غلى الإنتاج الزراعي والحرفي والمبادلات التجارية، حيث تنتج المنطقة الحبوب، التمر والحناء، كما برع سكان توات في تربية المواشي والإبل وحتى الخيل، وجلب الذهب من السودان والنحاس من المغرب .[3]

كانت المبادلات التجارية بين إقليم توات وأسواق المغرب بيد قبائل كانت تجلب السلع من المغرب ومنها دوي منيع وأولاد جرير وبني محمد؛ ووجدت قبائل كانت تتحكم في زمام التجارة في توات منها، قبيلة أولاد زنان الدين يربون الإبل بغية تأجيرها للتجار وفي نفس الوقت يعمل أفرادها كمرشدين في القوافل المتوجهة إلى خارج إقليم توات.[4]

كانت تجلب من أسواق المغرب الشعير والقمح والأغنام والملابس وجلد الفيلالي ثم يعودون محملين بالتمر وبعض المنتجات السودانية مثل الأسلحة النارية والسيوف والفواكه والملابس المطرزة التي تدخل من سوق سجلماسة إلى أسواق توات خاصة سوق تيميمون التي كانت تهتم بالبنادق

1 - ibid., p213

[2] ـ أحمد أبا الصافي جعفري، مرجع سابق، 21.

[3] -MICHEL Izard, compte rendus, J.Oliel, les Juifs au Sahara, le Touat au moyen âge, **revue,L'homme**, année 1996, numéro 138,p181

[4] ـ محمد صالح حوتية، مرجع سابق، ص 171.

والمسدسات والسيوف ويعود السبب اهتمام التجار بالأسلحة؛ من أجل حماية القوافل التجارية التي كانت عرضة لقطاع الطرق فقد كان السكان فكيك هم الذين يجلبونها من إقليم توات [1].

يعتبر توات من المراكز التجارية الهامة وقد أشاد ابن خلدون بعمران الإقليم، ذلك ما يؤكد تطور المنطقة وازدهارها منذ القدم وقال "فمنها على ثلاث مراحل قبيلة سجلماسة وتسمى وطن توات، وفيها قصور متعددة تناهز المائتين آخذة من الغرب إلى الشرق"، كما تحدث عن توات المغيلي[2]؛ وقال: " أن أرضها كانت خصبة لزراعة الحبوب والشعير ويزرعون بها قصب السكر بكميات وفيرة تكفي حاجاتهم ويصدرون الباقي لتجار المغرب"[3]،ويعد الإنتاج الأساسي عند التواتيين مادة الملح، كان التواتيون يستخرجونه على بعد كيلومترات من مقر سكناهم، تكون عملية الاستخراج في ليلة عيد الأضحى، كانت العبارة المشهورة لديهم هي " الملح يخرج من الأرض". يقوم التواتي بحفر الأرض لاستخراج النوع الجيد من الملح وينقله على ظهر الدواب، ومن حقه حمولتين ويأخذها للقرية، يأخذ ما يحتاجه والباقي يباع في الأسواق.[4]

نظرا لأهمية التمر في توات كان تجار قبيلة الرقيبات القاطنة بالحدود المغربية الجزائري ليس بعيدا من تندوف، يأتون إلى توات محملين بلحم الجمال، أيضا تجار قبيلة البرابر الذين يجلبون الشاي وبعض الأدوات من المغرب وبالمقابل يأخذون التمر التواتي، تزداد هذه المبادلات خاصة عندما يرتفع سعر التمر في الشمال؛ مثلا في بشار[5].

1 - نفسه، ص 271.

2 - هو محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ، من مدينة مغيلة، التابعة لولاية تيارت حاليا، ولد سنة 1427، تلقى دراسته الأولى بتلمسان.ينظر:- مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ، ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006، ص 27.

3 - حوتية، مرجع سابق، ص171.

4-KARL Suter, op.cit, p470.

5 - Ibid, p 455

كما يوجد التمر ولا يستعملون أية عملة سوى الذهب"[1]. وكانت المقايضة هي الطريقة الأكثر تداولا بين تجار توات وتجار المغرب، ووُضعت قاعدة لذلك تمثلت فيما ما يلي:

- حمولة واحدة من القمح تعادل خمس حمولات من تمر الحميرة.

حمولة واحدة من الشعير تعادل خمسة عشر حمولة من تمر الحشف واثنين من تمر الحميرة.

- واحد كيلوغرام من القمح يعادل خمسة كيلوغرامات من الفلفل الحار.
- حمولة واحدة من الفول تعادل خمس حمولات حميرة أو ست حمولات من تمر تناصر
- حمولتان من اللحوم الجافة تعادل خمس حمولات حميرة أو ستة من تمر تناصر.
- رأس واحد من الغنم يساوي حمولة واحدة من تمر الحميرة.
- عشر جزات من الصوف تعادل حمولة من تمر تناصر.[2]

7 - <u>التمر مصدر أساسي في إقليمي توات والتافيلات</u> :

تعد التمور من المصادر الأساسية التي يعتمد عليها اقتصاد المغرب منذ فتره قديمه، فتقدم الباحث المؤرخ الفرنسي لوضع دراسة حول موضوع التمر في المغرب، فذكر صاحب المقال بول بوبنوي paul popenoe أنه لم يسبق أن أحد إهتم بدراسة التمر وأنواعه في المغرب، ويجعل النوع الموجود في المغرب من أجود الأنواع في العالم وقال: تمر صحراء المغرب تميز بخصوصية منذ ألف سنه تقريبا مستندا على ما كتبه الرحالة جون أوجيلي jean augili الذي زار المغرب في في القرن 17وقال" أن أغلب أنواع التمر التي تجلب الى أوروبا تأتي من منطقه تافيلالت [3] . كما تحدث الإدريسي رحال القرن 12 الذي قال عن سجلماسة" المدينة تحتوي علي نخيل تنتج تمر مختلف الألوان؛ ومنها نوع يسمى البرني وصفه باللون

1 - الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا ن ج1، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، المغرب، 1983، ص 250

2 - محمد صالح حوتية، مرجع ، ص 171.

3 -Paul popenoe,le dattier au Maroc, un journal d'agriculture traditionnel le et de botanique appliquée, année 1926,n55 p129

الأصفر الداكن وبداخله نواة صغيرة، واعتبر الإدريسي هذا النوع من التمر؛ أحسن وأفضل من كل أنواع الفترة [1] .

زار ابن بطوطة في نفس القرن المغرب وقال أن المغرب مختص في إنتاج التمر. وصرح أن منطقة سجلماسة يوجد بها أجود التمر في العالم مذكره وتحدث عن فصيلة تسمى إرار ، كما أدلى بمجموعة من الإحصائيات صاحب المقال، هي صحيح إحصائيات بداية القرن العشرين وأنها بعيدة عن الفترة المدروسة، لكن اعتبار أن النخلة تتطلب وقت كبيرا للنمو، ربما 20 سنة وهي أشجار معمرة، فلهذا يمكن اعتبار الإحصائيات المقدمة غير بعيدة عن الإحصائيات التي لم تكن موجودة في القرنين 17 و 18، لانه لم يكن هناك علم يهتم بذلك، فبإمكاننا أن نقرب وندور الأرقام؛ لكن بالنقصان ومن هذه الأرقام ؛ نذكر: مثلا منطقه فاس وجد بها 1975و الرباط 9233 نخلة و الدار البيضاء 158 ومنطقه دكالة 24، ومراكش81106 نخلة؛ ما يقارب 80 ألف نخلة[2]، لكن نحن ننقص من العدد و نقول انه في القرن الثامن عشر وُجد تقريبا 60 ألف نخلة، لكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الجفاف الذي كان يصيب المغرب من فترة إلى أخرى، بالإضافة إلى موجات الجراد خلال الفترة. فنقول عن العدد القريب من الواقع ينحصر ما بين 40 إلى 50 ألف نخلة. صحيح أن النخيل تنمو في المناطق الساخنة ، لكن تدبدب المناخ وانتشار الطاعون خاصة في القرن السابع عشر الذي كان يزهق الأرواح العديدة وخاصة منها الطبقة الفقيرة من المجتمع المغربي، وهذا ما كان ينقص من اليد العاملة التي تهتم بإنتاج التمر وجنيه. بذلك نستطيع أن نقترب من واقع الفترة و نفترض أوضاع أشجار التمر في المغرب.

وقد وجد بالمغرب أصناف لا تعد من التمر؛ ومنها أسمر الموجود بجنوب الأطلس وأبو فقوس نوع موجود بالجنوب و أبو غار أو حفاس بالتافيلالت وأبو سكاري والأنواع كثير جدا لا يمكن تعدادها كلية وتعود تسميه الأنواع نسبة إلى شكلها أو نسبة إلى القبائل الممتلكة والمتحكمة في

1 - ibid, p129
2- Paul popenoe, op ,cit p 130

أراضي النحيل[1]. كما نجد أن سكان توات اعتمدوا على التمر كغداء أساسي لهم وكمادة أساسية تصدر تباع إلى الأقاليم المجاورة أو إلى بعض القبائل.

بحكم غنى المنطقة بالمياه الجوفية فقد كثرت أشجار النخيل ، والمعروف عن النحيل أنها ذات جذور تمتد نحو العمق لامتصاص المياه الجوفية ولا تعتمد على التساقط الموسمي للنمو، ذلك ما أدى التواتيون إلى ابتكار نظام الفقارة.

في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر بلغ عدد النخيل في توات ما يقارب ثلاثة ملايين ونصف نحلة مقارنة مع القرارة الذي احتوى على ثلاثة وتيكديلت على مليون ونصف نخلة. سمي توات ببستان الصحراء[2].

8- الدور الثقافي لإقليم توات:

عُرف إقليم توات على مر التاريخ بأنه أرض أمان واطمئنان وهذا ما جعله مقصد عدد كبير من العلماء رغم قلة رزقهإذ كان معروفا بأنه "ذات سباخ، كثيرة الرمال والرياح، لا تحيط بها جبال"ن غالب أهله ضعفاء متضعفون ولقلة ضعف أهله وهضم قوة النفوس، كثر فيه الصالحون والزهاد وأرباب القلوب"[3]. كل هذه العوامل استقطبت العلماء وعلى رأس القائمة علماء المغرب وعلى وجه الخصوص من سجلماسة وفاس .

الجنوب الجزائري إقليم شاسع في الجزائر، فمثل ما أنجب الشمال والشرق والغرب الجزائري علماء وفقهاء برزوا في مختلف الحقب التاريخية وخاصة القرنين السابع عشر والثامن عشر، هو الآخر أيضا أي الجنوب ترعرع فيه علماء برزوا في شتى العلوم من تعاليم القرآن والفتوى والقضاء واشتهروا بنشاطهم الفكري والعلمي وبالضبط في منطقة توات، صحيح أن المنطقة لم تكن خاضعة كلية للحكم العثماني إلا أن علمائها تفاعلوا مع النظام في معظم المجالات الفكرية والعلمية والروحية وكانت توات مند تاريخها المبكر حاضرة مشعة في وسط الصحراء خاصة وإفريقيا الكبرى عامة، وذلك بفضل علماء نبغوا وبرعوا في المعارف الدينية والدنيوية.

1 - ibid ,133

2 - SHIRMER Henri,le Touat, etude de géographie physique et économique ,In**, Annales de géographie** ,T1,numéro 4,1892,p410.

3 -أبا الصافي جعفري، مرجع سابق، ص30.

كما لعب دورا كبيرا وهاما في إثراء الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب العربي في العصر الحديث. شكل هذا الإقليم على طول تاريخه الممتد من القدم، منطقة ربط بين حواضر شمال المغرب العربي، ونخص بالذكر إيالة الجزائر وصحرائها والمغرب الأقصى، وما جعل هذه المنطقة تمتاز بتلك الأهمية الكبيرة هو الموقع الجغرافي الذي جعلها ممرا ومسلكا تجاريا، تمر عبره القوافل التجارية القادمة من الشمال والمتجهة إلى جنوب الصحراء من جهة ، ومن الشرق الجنوبي إلى المغرب الأقصى من جهة أخرى.[1] بالإضافة إلى أن المنطقة كانت مسلكا للمسافرين والحجيج اتجاه الأراضي المقدسة ، كما كونت المنطقة أحد الروافد التاريخية المهمة لازدواج وتلاقي الثقافات والمعارف ، ما أضفى على المنطقة حيوية ونشاط علمي ؛ أسفر على انتعاش وتطور حركة التأليف في شتى العلوم وبروز عدد كبير من العلماء في المنطقة، تصدروا أكبر حلقات التدريس وقدموا الكثير للمكتبة تواتية .

ارتبط النشاط العلمي في المنطقة بالذات وفي تلك الفترة بوجود بعض الفئات الاجتماعية المتميزة والتي تمثلت في عدد كبير من الأسر والعائلات والأفراد والذين كانوا في أغلب الأحيان من الأثرياء أو ينتسبون إلى النسب الشريف أو من طبقة أهل الجاه والبركة، وهكذا استطاعوا تكوين لأنفسهم شهرة واسما في التقوى والاستقامة والكرامات والتركيز على المسائل الدينية ومن أشهرهم؛ بيت التنلالي؛[2] ومنهم؛ بن يوسف التنلالي ولد سنة 1709 بتنلال إحدى أشهر قصور مقاطعة تيمي أي أدرار حاليا، من عائلة اشتهرت بالعلم والمعرفة، مثلت هذه العائلة أجل بيوتات توات وازدادت شهرة العائلة بعد تأسيس الزاوية في تينلان من طرف العلامة الشيخ أحمد بن يوسف الوانقالي، كانت هذه الزاوية منارة علمية في منطقة توات.[3]

1 ـ عبد الرحمان بعثمان، صورة التواصل العلمي بين توات والمجالين المغاربي والسوداني من خلال مخطوط،هرسة عبد الرحمان بن عمر التنلالي التواتي المتوفي 1169هـ ، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، العدد 9، 2012، ص203

2 ـ بوسليم صالح، الحياة العلمية والثقافية في منطقة توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ـ مصادرها وبعض مظاهرها، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، العدد 5، 2008، ص 152.

3 ـ نفسه، ص203.

قيل عن الشيخ بن يوسف أنه "شيخ الشيوخ وبقية الرسوخ العلامة، الفهامة، علم الأعلام ومرشد الإسلام.....انتهت إليه رياسة الفقه بالديار الصحراوية". قيل عنه أيضا " عالم العصر، ومن أهل قيام الليل، كان من غرائب الدهر تقدُم في جميع فنونه وكان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه، صالحا، مجتهدا، نوازليا، عجيبا، فاضلا في فنون كثيرة وتخرج عنه أعيان ".كان من أشهر أقطاب الفقه المالكي في توات ، تأثر بعلماء زاروا المغرب مثل عبد القادر التنلالي. في سنة 1754رحل إلى سجلماسة لأحد العلوم والقراءات والتجويد عن شيوحها أين جالس وأخذ عن الشيخ الصالح بن محمد الغماري، كما التقى بالشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي.[1] وبيت المزمري أمثال الشيخ محمد بن أب المزمري؛ كان من علماء عصره في منطقة توات ، ولد في قرية أولاد حاج ، إحدى قصور بلدية تمقطن في نهاية القرن السابع عشر.[2]

تلقى المزمري تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم انتقل إلى قصر زاوية كنتة وأقام هناك لمدة طويلة فأحد عن شيوخها لينتقل بعدها إلى تمنطيط.[3] وهناك تتلمذ وأحد من العديد من علماء تمنطيط، ثم سافر إلى عدة أقطار عربية إسلامية وجالس كبار علماء القطر العربي والإسلامي وبلغ رتبة الخيار.

رجع المزمري إلى توات واستقر به المقام في مدينة تيميمون بأدرار، رغم أنه حفظ القرآن وتلقى الكثير من المعرفة والعلم إلا أن فضوله الزائد في اكتشاف الجديد ورغبته في التبحر في بعض فروع المعرفة وثقافة عصره أدى به إلى عدم القناعة بما كان يستحوذ عليه من معرفة فاضطر إلى ترك أرضه والسفر إلى سجلماسة وفاس بالغرب . التقى المزمري بالشيخ أبي إسحاق سيدي إبراهيم وأخذ منه العلوم الإسلامية وأصول اللغة العربية وجالس علماء آخرين من فاس وسجلماسة.

1 ـ نفسه، ص204.

2 ـ بوسليم صالح، مرجع سابق، ص152

3 ـ كلمة أمازيغية ، تعني باللغة العربية حاجب العين ، كانت إحدى حواضر إقليم توات الثقافية والتجارية وقيل عنها أنها جمعت بين العلم والإمارة والديانة والرياسة. ينظر: بوسليم صالح، مرجع سابق، ص 152.

كان الفقيه يتميز بصفات حميدة ومكانة علمية واجتماعية في توات كما كان محل تقدير واحترام ؛ قال فيه تلميذه الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلالي " كان متقنا مجيدا فطنا عارفا يباحث الشراح في مجلسه بأحسن بحث، إلا أنه كان قليل الإقراء ... كان رحمه الله ورعا في الفتوى ....كثير المطالعة لا تكاد تجد كتابا بتوات إلا وتجد خطه فيه، وكان متقنا في الضبط لا يتساهل فيه"، من أشهر مؤلفاته أرجوزة في التصريف سماها "روضة النسرين في مسائل التمرين" وأرجوزة في علم الكلام والعديد من مآثره العلمية ن توفي عام 1160 هـ .[1]

نجد أيضا الشيخ سيد أمحمد بن ميمون المتوفى في بداية القرن 17 هو الآخر رحل إلى فاس وأخذ عن الشيخ بعقوب البدري، كان بن ميمون شيخ الحديث في وقته وقد ساعده في ذلك قوة ذاكرته.[2]

الشيخ سيدي عبد الرحمان بن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن علي الجنتوري القراري، لقب بخديم الأشراف، أخد عن عبد القادر التنلالي، سافر إلى فاس، قيل عنه" أعجوبة أهل زمانه رواية ودراية، توفي عام 1160هـ.[3]علم آخر من توات رحل إلى المغرب هو الشيخ سيدي عمر بن سيدي الحاج عبد القادر التواتي، درس بفاس وأخذ عن أحمد المنساوي ومحمد بن عبد الله الفلالي وبن ذكري الفاسي. كان عبد القادر التواتي عالما فقيها ونحويا . تولى التدريس بجامع القرويين ، ثم عاد إلى توات وتولى القضاء، توفي عام 1129هـ.[4]

9 - <u>دور الزوايا</u>:

تعددت الزوايا في إقليم توات وأخذت الجانب الكبير من الناحية العلمية والثقافية وانعكس ايجابيا على الناحية الاقتصادية. لم تكتفي بدورها العلمي بل كانت تمدّ يد المساعدة لعابري السبيل وإلى كل من يحطّ في المنطقة. كان إقليم توات باب مفتوح للمسافرين والمارين عليه من اجل الراحة من جهة والالتفات إلى مصالحهم التجارية من جهة أخرى من

1 - بوسليم صالح، مرجع سلبق، ص 154.
2– أبا الصافي جعفري، مرجع سابق، ص 35.
3 - نفسه، ص44.
4 - أبا الصافي جعفري، مرجع سابق، ص55.

مبادلات وبيع وشراء ومقايضة. كما كانت قصور توات أمام الغرباء والأجانب أين خصص جماعة من أهل الحلّ والعقد فيها مكانا خاصا بهم لربط إبلهم واستقبالهم على مدار ثلاثة أيام؛ تقدم لهم فيها الضيافة على أحسن وجه [1].

10 ـ توات محطة وقف ركب الحج السجلماسي:

كانت سجلماسة من أهم الحواضر العلمية في صحراء المغرب الأقصى بحكم موقع الجوار مع صحراء الجزائر أجبرت الظروف أن يكون هناك احتكاك حضاري.

عرفت المنطقة نشاطا كبيرا خاصة في القرن الثامن عشر، وكان لطريق الحج الذي يربط سجلماسة بإقليم توات الأثر الكبير في ارتباط القطرين الجزائري والمغربي من الناحية العلمية والثقافية.

حيث كان ركب الحج السجلماسي يمر بتوات متخذا قصورها مراكز استراحة واستزادة من المؤن، وعادة ما كان الركب يحمل علماء وطلاب علم وهناك، أي من خلال الاستراحة يجلسون للتدريس وتبادل الآراء والجدال في أمور ما. فكان طلبة توات يتسابقون ويتهافتون لحضور مثل تلك المجالس العلمية للاستفادة من علماء موجودين في ركب الحج.

كانت أيام الاستراحة تلقى دروس وهذا ما كان يجعل الطلبة يرغبون ويطمحون إلى الرحلة إلى سجلماسة وبعض الحواضر العلمية القريبة منها الموجودة في المغرب، من أجل الأخذ والانتفاع من علماء المنطقة.فكلما سمع الطلبة بمجيء ركب الحج المغرب يترصدون علماء المغرب آملين الحصول على إجازات ، وهذا ما حصل لبن يوسف التنلالي عندما أجازه الشيخ محمد بن عبد الله الدرعي في العديد من المصنفات .[2]

كانت الاستفادة والاستزادة من علماء المغرب عبر الركب بطرق مختلفة، حيث كان طلبة توات إما يطمحون إلى الرحيل إلى سجلماسة ومراكش وفاس وغيرها من حواضر المغرب وإما خلال توجههم إلى بيت الله الحرام وعند عودتهم من فريضة الحج يمكث علماء المغرب لمدة في إقليم توات للإفادة والاستفادة ومنهم ، الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم الدرعي

1 ـ هرباش جازية، مرجع سابق، ص248.
2 ـ عبد الرحمان بعثمان، مرجع سابق، ص216.

الإكتاوي (1699- 1755)، التقى ببن يوسف التنلالي في طريق العودة من الحج بقرية زاجلو في بلاد توات، فحضر تدريسه لبعض المصنفات مثل صحيحي البخاري ومسلم، أيضا المقرئ محمد المكي بن صالح السجلماسي، إلتقى به التنلالي في تيمي بأدرار التي قدم إليها، فأخذ عنه علم التجويد والقراءات السبع.[1]

نجد أيضا الشيخ بن محمد الغماري ووصف الشيخ صالح التنلالي الغماري أنه شيخ القراء ببلاد المغرب ونبه أنه لا يوجد بالمغرب من هو أحسن منه تجويدا للقرآن بالقراءات، ارتحل إليه التنلالي من توات إلى سجلماسة سنة 1754 في رحلة دامت قرابة العشرين يوما وخلال هذه المدة القصيرة التي أمضاها عنده، عرض عليه ختمة القرآن الكريم برواية قالة، ونبهه عن بعض أحكام التجويد. والملاحظ أن التنلالي كان له الحظ الأوفر في ملاقاة علماء المغرب عمدما يمرون بتوات فقد لقي أيضا الشيخ والفقيه أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي ثم رحل إليه إلى سجلماسة ووصفه بالعالم المتفنن في كل العلوم؛ كالتفسير والفقه والحديث والنحو والمنطق وقد أجاز الغماري التنلالي بعد أن ختم القرآن الكريم بقراءتي ورش وقالون.[2]كما أجازه أيضا بن هلال السجلماسي؛ وهي إجازة جاءت بعد مراسلات عديدة فيما بينهما، فطلب التنلالي من الشيخ الإجازة فأجازه بشكل بيت شعري قال فيه: "أجزت لكم مرويتنا مطلقا وما.....لنا سائلا أن تتحفوا بدعاء".[3]

11 - التشابه بين حلقات التدريس في توات وسجلماسة:

كانت طريقة التدريس في بلاد توات والفضاء المغربي ونحص بالذكر حاضرة سجلماسة تتم عن طريق الحلقات العلمية التي يكون الشيخ مركزا لها ، وينقسم الطلبة حسب فئات الأعمار، فيتجه صغار السن إلى حفظ القرآن الكريم والمتون الفقهية المعدّة للتدريس، بينما يتجه الكبار الذين اجتازوا المرحلة السابقة إلى الإنكباب نحو دراسة الفقه والحديث وعلوم اللغة العربية كالنحو والصرف والعروض، وكان التدريس في كلتا الحاضرتين من

1 - عبد الرحمان بعثمان، مرجع سابق، ص229.
2 - عبد الرحمان بعثمان، ص229.
3 - نفسه، ص229

خلال حلقات في غاية الكثافة والاكتظاظ بالطلبة، إذ يستغرق كامل اليوم ، وقد كان ذلك يتفاوت حسب طاقة الشيخ وقدرته ونشاطه.[1]

كانت طريقة الإسماع هي الطريقة المتبعة في كل الحلقات التعليمية، يجلس الشيخ ليسمع جزءا من المصنف موضوع الدرس من الطلبة ثم يقوم الشيخ بشرحه وتتخلل تلك الشروحات، انتقادات ومقارنات؛ تجعل الدرس موضع نقاش علمي، ومن هذا المنطلق نستخلص أنه وجد تشابها كبيرا بين طريقتي التدريس في كل من توات وسجلماسة وما يشدّ الانتباه أن مصنفات المذهب المالكي غلبت على هذه الحاضرتين فكان لها الدور الفعال في انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب الكبير.[2]

12- علماء المغرب في توات:

تعدد العلماء الذين رحلوا إى المغرب بغية طلب العلم والحصول على إجازات من نظرائهم في المغرب وسنذكر البعض منهم: محمد بن محمد ابن أبي بكر العصنوني التواتي المتوفي بعد سنة1602 فقي ومحو محدث، درس في الصحراء والسودان ومراكش ، سلك مسلك أسلافه في التدريس بتوات التف حول العالم المغربي بن القاضي فأجازه في الحديث وأخذ عنه الحساب.[3]

ـ أبو القاسم ابن عبد الحبار الفجيجي[4] (ت) 1603 يعدّ أشهر علماء قوم هو أكرهم ذكرا في الفهارس وكتب التراجم، كانت له رحلات متعددة إلى فاس ومراكش وتلمسان، لقي أثناءها كبار العلماء فأخذ عنهم وأخذوا عنه كما

1 ـ نفسه، ص230.

2 ـ نفسه، ص 233.

3 ـ نسبة إلى توات إقليم صحراوي واسع ينزل جنوبا مع وادي الساورة الذي يسمى طريق النخيل حتى مصبه بسبخة المخرقين في قلب الصحراء ومن أشهر واحات التوات تيممون وتيمنطط أم القرى. ينظر:ـ محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب، ص631.

4 ـ نسبة إلى فجيج عبارة عن مجموعة من القصور أي القرى الصغيرة، واقعة وسط واحة من النخيل في الصحراء الشرقية على الحدود الجزائرية، تبعد عن وجدة بثمانين ثلاثمائة كيلومتر إلى جهة الجنوب الشرقي منها.ينظر:ـ محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد لسعديين، الجزء 2،ص 511 .

أجازوه وأجازهم[1] ، كما تتلمذ على يده طلبة جاؤوا من بني عباس في توات[2] .

ـ أحمد بن ع الله ابن أبي محلي الثائر[3] (ت) 1613 كان فقيها صوفيا وأديبا، دخل قرى بني عباس للمرة الأولى وهو في طريقه إلى الحج وبقي هناك 3 أشهر، ماستقر بها نهائيا بعد رجوعه من الحج، كان يستقبل علماء عصره الوافدين من المغرب والمشرق، تنوعت دروسه في بني عباس فشملت اللغة وقواعدها والحدث والفقه والتصوف[4].

ـ محمد التواتي ويعدّ من أبرز الأساتذة الواردين على الجزائر من المغرب والذين تركوا بصمات قوية فيما يخص الاهتمام بالنحو، حلّ يقسنطينة في أوائل القرن السابع عشر، تخرّج من فاس ولُقب بسبويه زمانه، جلس في قسنطينة للتدريس وورد عليه الطلاب من زواوة وعنابة والزيبان ونقاوس ونحوها ومن أبرز تلاميذه محمد بن الراشد، كما درس على يده النحو[5] العلامة الفكون، رحل التواتي إلى باجة بتونس أين أصيب بالطاعون وتوفي هناك سنة 1621 [6] .

13 ـ علماء توات في المغرب:

احتضن إقليم توات عدد كبير من علماء المغرب والذين كان لهم صدى كبير لدرجة التسابق للأخذ منهم، نكتفي بذكر البعض.

1ـ محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب، ص514.

2 ـ نفسه، ص515 .

3 ـ قام بثورة سنة 1610 ،فاكتسح الجنوي المغربي مارا بالتافيلالت فدرعة ومراكش أين عاش ملكا في قصر البديعـ إلى أن انهزم وقتل في معركة كيليز.ينظر:ـ محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب، ص626 .

4 ـ تفسه، ص626

5 ـ تحدث العياشي حول كتاب النحو الخاص بالتواتي" فتح المواى بشواهد ابن يعلى" قال أنه استفاد من هذا الكتاب، وقد جاد الشرح والبحث، فرغ المكون من الكتاب سنة 1048 هـ. ينظر: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 ـ 1830)، الجزء 2،ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص160 .

6 ـ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 2 ،ص .158 .

ـ الشيخ عبد الكريم بن محمد التواتي توفي 1633، أخد من علماء المغرب ومنهم أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي كما أخد عن أحمد المقري التلمساني .[1]

ـ الإمام الكنتوري هو أبو زيد عبد الرحمان بن أبي إسحاق بن عبد الرحمان بن محمد بن علي الإنصلاحي الكنتوري الكوراري، لقب بالفقيه الزاهد، ويعتبر أصل سلفه من تيطاف بمنطقة توات ثم انتقلوا إلى عين صالح بتيكديلت ومن بعد ذلك انتقل جده إلى كنتور من قصور كورارة أو قرارة واستوطنها.

تلقى الكنتوري تعليمه الأول بمسقط رأسه وكان ذلك على يد غبن عمه الفقيه عبد العالي بن أحمد بن عبد الرحمان ، وخلال هذه الفترة المبكرة من صغره تمكن من حفظ بعض المختصرلت والمنظومات في الفقه وعلوم اللغة مثل مختصر خليل ورسالة بن أبي زيد في الفقه وألفية ابن مالك في النحو وغيرها من المختصرات النفيسة ، ولازالت المراجع التي اعتمد عليها في تكوينه لغة وفقهيا تشكل أهم المقررات التعليمية في المدارس والزوايا في الجنوب الجزائري وممكن أن نقول في معظم الأقطار العربية [2].

ولأن فضول الكنتوري الزائد وهمته المتطلعة إلى أكثر وأبعد من ذلك، بالإضافة إلى أنه لم يكتف بما يوجد من رموز علمية في بلده، راح يتطلع وينظر نحو الجهة الغربية لإشباع فهمه العلمي. عزم الكنتوري إلى على الرحلة إلى فاس بالمغرب الأقصى والتي كانت تعتبر مند زمن بعيد إلى غاية عهده، الحاضرة المغربية التي كان يطمح إلى الوصول إليها وذلك لما كانت تجمع بين فقهاء المالكية في زمنه لكنه لم يوفق في الرحلة إلى فاس. فسرعان ما وجد البديل وذلك حين بلغه أن الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلالي قد قدم من فاس سنة 1716، فارتحل إليه بسرعة ولازمه

1 ـ أحمد بابا .زمرجع سابق، ج1، ص46.
2 ـ محمد جرادي، معالم التجديد الفقهي عند أعلام توات، عبد الرحمان كنتوري أنمودجا(ت 1160 هـ)، **مجلة الحضارة الاسلامية**، العدد السابع عشر، نوفمبر2012، ص 172.

بتنلال لمدة تقارب سنتين، فأخذ عنه فنون كثيرة من تفسير وحديث ومنطق وعلوم اللغة .[1]

ـ الشيخ عمر بن عبد القادر التنلالي (ت1739)، تعلم في مسقط رأسه ثم رحل في سن مبكر إلى فاس، ودرس بجامع القرويين وكان يقدم دروس في بفاس وبعد عودته سنة 1717 إستقر بزاوية تينلال وهناك بدأ يزاول نشاطه التعليمي، كما تناول القضاء ومن مؤلفاته" رحلة في طلب العلم لسجلماسة وفاس "، يذكر فيها أشياخه الذي تتلمذ على يده وأخذ منهم شتى العلوم، وأيضا يتحدث في رحلته عن تصدره للتدريس بالمدرسة المصباحية وجامع القرويين بفلس، ومن خلال هذه الرحلة يمكن التعرف على طريقة التدريس بجامع القرويين وعرف أيضا على أهم علماء القرن الثامن عشر في المغرب.[2]

ـ الشيخ سيدي عبد الرحمان بن أبي إسحاق ابراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن علي الجنتوري القراري، أخد العلوم عن والده ثم عن إبن عمه عبد العالي بن أحمد وعبد القادر التنلالي، انتقل إلى فاس وأخذ عن علمائها. سمي في وقته، أعجوبة زمانه رواية ودراية توفي بالقرارة 1747.

ـ الشيخ سيداحمد، هو بن محمد بن الونان المشهور بأبي الشمقمق، عاش في فاس لمدة طويلة وبها تلقى و تعلم على يد شيوخ أجلاء ، توفي بتوات 1773.[3] وأثناء عودته من الحج أدركته المنية في مصر سنة 1775ودُفن بها في مقبرة سيدي عبد الله المنوفي.[4]

ـ الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلالي ت1775 أي أنه عاش في القرن الثامن عشر ويعبر من أشهر علماء ذلك العصر، درس في توات وسجلماسة وأروان على يد شيوح كبار تركوا بصماتهم في المغرب أمثال الشيخ عمر بن عبد القادر التنلالي التواتي، والشيخ صالح بن محمد

1 ـ محمد جرادي، مرجع سابق، ص 172.

2 ـ مبارك جعفري، المؤرخون والكتابة التاريخية في منطقة توات مابين القرنين 12 و14 هـ (18 و20 م)، **مجلة عصور الجديدة**، العدد 3 و4، عدد خاص خريف 2011 و شتاء 2012، ص 278.

3 ـ أحمد بابا الصافي، الحركة الأدبية بإقليم توات من القرن 7 هـ حتى نهاية 13 هـ، ج1، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2009، ص34.

4 ـ مبارك جعفري، مرجع سابق، ص 279.

السجلماسي اللمطي وأبو عبد الله محمد بن علي الدرعي وأبو العباس أحمد بن صالح التكروري . تبحر التنلالي في شتى العلوم وأصبح من مصادر الفتوى لكثير من علماء وقضاة عصره، من مؤلفاته نسخة تينلال تتضمن حوالي 100 صفحة، كتاب يتحدث فيه عن شيوخ توات والمغرب الأقصى وبلاد السودان، كما أن الكتاب يعطي صورة واضحة عن الحركة العلمية في منطقة توات بصفة خاصة والمناطق التي زارها عامة ، كما له مؤلف " رحلة الحج" تتضمن مراحل الحج بطريقة مفصلة.[1]

ـ الشيخ عبد الرحمان بن إدريس بن عمر التينلالي ولد عام 1767، عُرف مهارته في الفقه والأدب ، رحل إلى فاس وهناك تتلمذ على يد الشيخ عبد القادر بن شقرون، توفي سنة 1818، من أشهر مؤلفاته "رحلة إلى مدينة الجزائر".[2]

ـ الشيخ سيدي عبد الرحمان (1768 -1818)بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلالي، كان عالما في أصول الفقه والتفسير، سافر إلى فاس وتعلم وأخذ من الفقيه عبد القادر بن شقرون، من مآثره رحلته المشهورة إلى الجزائر العاصمة سنة 1816.

ـ الشيخ سيدي أحمد المتوفي 1830، هو زروق بن صابر البداوي الجعفري لقب بأبي العباس، سافر إلى فاس وأخذ عن الشيخ التاودي، تولى القضاء بفاس ثم بإقليم توات[3].

ـ الشيخ عمر بن الحاج عبد القادر التواتي (1687 ـ 1739)، ولد بتوات وتعلم بها، ثم سافر إلى فاس وأخذ عن الشيخ محمد بن أحمد المنساوي ومحمد بن زكري الفاسي، كان عالما وفقيها ونحويا، تولى مهنة التدريس بجامع القرويين بفاس، ثم عاد إلى توات سنة 1717.[4]

ـ <u>خاتمة</u>:

1 ـ نفسه، ص 279.
2 ـ نفسه، ص 281.
3 ـ أحمد بابا الصافي، نفسه، ص34.
4 ـ نفسه،ص 56.

-يعتبر الموقع الجغرافي عاملا مساعدا لتجار توات فهو الممر الطبيعي لتجارة السودان الغربي من جهة وممرا لنقل البضائع إلى بلاد المغرب، ما جعل الإقليم حلقة وصل بين أقطابه الأربعة.
- لعب توات دورا كبيرا وهاما في إثراء الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب العربي في العصر الحديث.
- شكل هذا الإقليم على طول تاريخه الممتد من القدم، همزة وصل بين حواضر شمال المغرب العربي، ونخص بالذكر إيالة الجزائر وصحرائها والمغرب الأقصى.
- إن تعدد الزوايا في إقليم توات جعله ذا أهمية كبير ة من الناحية العلمية والثقافية وانعكس ايجابيا على الناحية الاقتصادية. بالإضافة إلى دورها العلمي حيث كانت تمدّ يد المساعدة لعابري السبيل وإلى كل من يحطّ في المنطقة.
- احتوى إقليم توات على خيرات طبيعة،فقد انعم الله سكانه بالمياه الجوفية فعرفوا كيفية إتقان واستغلال تلك المياه بطريقة الفقارة، بالإضافة إلى غنى المنطقة بالتمر.
- برز الاحتكاك الحضاري والثقافي عن طريق ركب الحج السجلماسي الذي كان يتوفق بتوات، وهناك يتسابق طلبة العلم لمجالسة العلماء وأحيانا طلب الإجازات.
- المعروف عن العلاقات بين الجزائر والمغرب في العصر الحديث أنها تأرجحت بين الحرب والسلم، لكن تلك العلاقات الودية المتمثلة في الصلات الثقافية والمبادلات التجارية كانت الساطعة، ويعد إقليم توات بموقعه الجغرافي وبسكانه عامة ،وتجاره وعلمائه خاصة؛ عنصرا فعالا في توطيد العلاقات بين البلدين.

البيبليوغرافيا:

- **المصادر و المراجع :**

1 - الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ج1، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، المغرب، 1983.

2 ـ الفشتالي أبو فارس، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق، عبد الكريم كريم، د ط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، د س ط .
3 ـ مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، تر، محمد حجي، محمد زنبير، محمد الأخضر، أحمد توفيق، أحمد بن جلون، د ط ، دار النشر والمعرفة، الرباط، 1989 .
4 ـ أحمد أبا الصافي جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7 هـ حتى نهاية 13هـ، أعلامها مواطنها، ومساراتها، مظاهرها وخصائصها الفنية، ط1، الجزائر، 2009.
5 ـ محمد صالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي)، ج 1، دراسة محلية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
6 ـ مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.
7 ـ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 ـ 1830)، الجزء 2،ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1998.
8 ـ محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد لسعديين، الجزء 2، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ، مطبعة فصالة، سبتمبر1978.

المقالات :

9 ـ محمد جرادي، معالم التجديد الفقهي عند أعلام توات، عبد الرحمان كنتوري أنموذجا (ت 1160هـ)، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد السابع عشر، نوفمبر2012.ص ص (171 ـ 184)
10 ـ مبارك جعفري، المؤرخون والكتابة التاريخية في منطقة توات مابين القرنين 12 و14 هـ (18 و20 م)، مجلة عصور الجديدة، العدد 3ـ 4، عدد خاص خريف 2011 و شتاء 2012،ص ص(276 ـ 288).
11 ـ عبد الرحمان بعثمان، صورة التواصل العلمي بين توات والمجالين المغاربي والسوداني من خلال مخطوط،هرسة عبد الرحمان بن عمر

التنلالي التواتي المتوفي 1169هـ ، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، العدد 9، 2012، ص ص(203 - 237).
12 ـ بوسليم صالح، الحياة العلمية والثقافية في منطقة توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ـ مصادرها وبعض مظاهرها، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 5، 2008، ص ص(152 - 168.)

ـ الرسائل الجامعية:

13 ـ هرباش جازية، الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال محطوط الغنية في القرنين 12 13 الهجريين و 18 و19 الميلاديين، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، السنة الجامعية، 2011 - 2012، جامعة وهران1.

ـ المراجع والمقالات باللغة الفرنسية:

14 - L'ABBéJ .J.L, TLEMCEN Souvenir d'un Voyage, imprimerie, Benjamin du Prat et Challamel ainé, Paris,1858,
15 - Le capitaine GIRARD, étude sur le le Maroc Impe éditeur, librairie militaire. Chapelot, Paris, 1904
16- GILBERT grand Guillaume, Régime économique et structure du pouvoir : le système des Foggara du Touat, **Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée**, année 1973,numéro 13-14,PP(.437-457)
17 - KARL Suter, Etude sur la population et l'habitat d'une région du Sahara Algérien, le Touat, **revue de géographie Alpine** ,annee1953, numéro,41-43,PP(.443 -474)
18 -MICHEL Izard, compte rendus, J.Oliel, les Juifs au Sahara, le Touat au moyen âge, **revue, L'homme**, année 1996, numéro 138,PP.(180-182)
29 -Paul popenoe,le dattier au Maroc, **un journal d'agriculture traditionnel le et de botanique appliquée,** année 1926,n55,PP.(129 -136)
20 - SHIRMER Henri, le Touat, étude de géographie physique et économique, In**, Annales de géographie** ,T1,numéro 4,1892,PP.(404 -414)